(24-32)

الدولة الفلسطينية في السياسة الخارجية الامريكية

نتنياهو: لن يقبل ان تعامل امريكا اسرائيل وكأنها محمية امريكية

لم تكن هنالك اية مواجهة حقيقية لردع سياسية الاستيطان، وكانت القوى المعارضة لاتفاق اوسلو ترى ان نتنياهو يقوم بدورها في تدمير الاتفاق، ولذلك لم تقم بأتي اعمال عنف من شأنها ان تردع سياسية الاستيطان. ولم تقم السلطة بالحد الادنى من الاعتراض، وهو وقف التفاوض واشعار العالم برفضها لما يجري.. لقد استغل نتنياهو موقف السلطة واظهر للعالم ان الامور تسير على ما يرام..

وعندما تأزم الموقف ونجح الموقف الفلسطيني باثارة اوروبا للتدخل جاءت المبادرة الامريكية الاولى، والتي كانت ستفرض على الطرفين بناء على رغبة الرئيس كلينتون لانقاذ عملية السلام.. وقبل ان تصل نصوص المبادرة رسميا إلى الطرفين قام نتنياهو بالتصريح حول المبادرة التي تسربت اليه بقوله "انه يرفض الاملاءات الامريكية وانه لن يقبل ان تعامل امريكا اسرائيل وكأنها محمية أمريكية،".

كان اخطر ما في المبادرة من وجهة نظر نتنياهو انها استندت على مبدا وقف الاستيطان لفترة محددة إلى حين استعادة الثقة من خلال التفاوض على قضايا المرحلة الانتقالية العالقة والاتفاق حول اعادة الانتشار الثاني المقرر في ايلول 1997 .وهذه قضايا تتناقض بشكل سافر مع سياسة الادارة بالازمات.. وقد جاء المدد لنتنياهو هذه المرة من خلال التفجيرين في سوق محنيودا اللذين اعطيا لنتنياهو المبرر للمزيد من التشدد في سياسة تصعيد الاستيطان وعدم اعادة الانتشار حتى تتكرس السيطرة الصهيونية على الارض.

وجاءت جولة السيدة اولبرايت في ايلول 1997 في وقت كانت فيه العلاقات الفلسطينية الاسرائيلية في اسوأ اوضاعها.. وقد ركزت على الجانب الامني بشكل واضح عندما قررت ان على السلطة الفلسطينية ان تبذل 100 % من الجهد لضرب البنية التحتية للارهاب على حد تعبيرها. وقد رفض الاخ ابو عمار هذه الصيغة واكد انه لا يتلقى اوامر في هذا الموضوع من احد. وانه استنادا إلى القانون الفلسطيني يمنع أي عمل من شأنه ان يضر بمصلحة الشعب الفلسطيني وبمسيرة السلام التي هي مصلحة فلسطينية وعربية واسرائيلية واميركية ودولية.

وقد اعتبرت السيدة اولبرايت ان سياسة نتنياهو تقوم على اساس اعتماد العمليات الانتحارية كذريعة لتخريب عملية السلام. وان هذا يسحب البساط من تحت الادارة الامريكية التي تسعى لانقاذ عملية السلام. بعكس الكونغرس الذي يدعم مواقف نتنياهو ويمارس ضغوطه على الادارة الامريكية..

ولم تستطع السيدة اولبرايت ان تحدد مفهوم البنية التحتية، ولكن الوثيقة التي وزعها مكتب نتنياهو عشية زيارة اولبرايت إلى المنطقة تؤكد ان الهدف هو اشعال نار الفتنة الفلسطينية وليس تحقيق الامن الاسرائيلي. وقد نصت هذه الوثيقة على الشروط العشر التالية:

1. تعاون امني كامل وغير مشروط وذلك لتوفير وسائل فعالة وسريعة في درء الاعمال الارهابية ووقف اعمال عنف او تحريض.

واقتبست الوثيقة في هذا السياق مقتطفات من كلمة القتها اولبرايت في اوائل شهر آب 1997، امام نادي الصحافة في واشنطن وقالت فيها "انه لا مجال لاستخدام التنسيق الامني كورقة للمساومة خلال المفاوضات، كما ليس مقبولا ان يعلو وينخفض مستوى هذا التنسيق تبعاً لتسارع او تباطوء وتيرة المفاوضات، وان التزام الفلسطينيين بمكافحة (الارهاب) يجب ان يكون متواصلا ومطلقا".

2. مكافحة (الا رهاب) ومعاقبة مرتكبي الاعمال الارهابية وذلك من خلال اعتقال كافة المشاركين باعمال ارهابية ضد اسرائيل والزج بكافة العناصر (الارهابية) التي اطلقت السلطة الفلسطينية سراحها مجددا بالسجون ووفق اللوائح التي قدمتها اسرائيل.
3. طرد العناصر (الارهابية) من الشرطة الفلسطينية. بما يشمل قائد الشرطة غازي الجبالي.
4. تنفيذ الاجراءات الامنية الواردة في اتفاق الخليل والتي تلزم السلطة الفلسطينية باخذ اجراءات محددة على صعيد مكافحة (الارهاب).
5. مصادرة الا سلحة غير الشرعية وبشكل محدد من المنظمات غير الشرعية في الا راضي الفلسطينية.
6. وقف اعمال التحريض على العنف وذلك من خلال قيام مسؤولي السلطة الفلسطينية بادانة العنف علانية وباللغة العربية امام الجمهور الفلسطيني والعربي وطرد كافة الائمة من المساجد الذين يدعون إلى تدمير اسرائيل في خطبهم الدينية. وشمل هذا المطلب قيام السلطة الفلسطينية بمراجعة شاملة للمناهج التدريسية، وبتعديلها بحيث تدعو للتعايش مع الاسرائيليين وتنبذ العنف والارهاب.
7. تقليص اسلحة الشرطة الفلسطينية للتوافق كماً ونوعاً مع ما ورد في الاتفاقيات.
8. تخفيض اعداد العاملين في الشرطة الفلسطينية لـ 24 الف شرطي كما هو مقرر في اتفاق اوسلو. وذكرت الوثيقة ان السلطة تجاوزت الاعداد المسموح بها بحيث يبلغ عدد افراد الشرطة الفلسطينية 35 الف شرطي.

كما طالبت اسرائيل بتقديم لوائح كاملة تضم اسماء كافة العاملين في سلك الشرطة الفلسطينية حيث تقول اللوائح التي تملكها تتضمن 005،81اسم فقط.

9. تسليم (الارهابيين) المطلوبين إلى اسرائيل حيث اشارت الوثيقة إلى ان اسرائيل تقدمت بطلبات لتسليمها 53 مطلوبا لها موجودين لدى السلطة الفلسطينية دون ان يتم الرد على هذه الطلبات.
10. تدمير البنية التحتية لـ (الا رهاب) وذلك من خلال حظر المنظمات التي تدعو للعنف والا رهاب. وذكرت الوثيقة بالاسم حركات للتصفية منها كل من حماس والجهاد الاسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والمجموعات المسلحة التابعة لحركة فتح) (1)

وقد جاء في تفصيل البند رقم (10) حول تفكيك البنية التحتية. ما نصه (يتوجب على السلطة الفلسطينية ان تقوم باتخاذ اجراءات ادارية، قانونية وبوليسية ضد البنية التحتية الاقتصادية والدينية والمدنية والسياسية والعسكرية وذلك يشمل (الجمعيات الخيرية، الجوامع، المؤسسات التعليمية، المراكز الطبية، البنوك، الشركات الا ستثمارية.. الخ) التي تدعم الا رهاب بما يشمل اتخاذ خطوات ضد اولئك المشاركين في التخطيط والتمويل ودعم الا رهابيين كما جاء في خطاب وزيرة الخارجية الامريكية امام نادي الصحافة الوطني في 6 آب 1997).(2)

لقد تم رفض هذه الشروط المؤامرة واعتبرت محاولة من نتنياهو لوضع العراقيل امام مهمة

اولبرايت.

وفي مقابل هذه التعديلات الاسرائيلية كان الرد الفلسطيني على المبادرة يتمثل في النقاط الاربعة التالية التي سلمها الاخ ابو عمار للوزيرة الامريكية في لقائه في (10 أيلول 1997) معها. والتي تنص على مبادىء لا يمكن لا ي مبادرة ان تنجح بدونها.

1. وقف النشاطات الاستيطانية في الضفة والقدس ووقف البناء او أي انشاءات في جبل ابو غنيم، وعدم اضافة بيوت للمستوطنات القائمة. وعدم بناء مستوطنات جديدة وعدم توسيع المستوطنات القائمة ويكون سياج المستوطنات محددا بمسافة 50 مترا عن آخر بيت في المستوطنة.
2. تطبيق استحقاقات الاتفاق الانتقالي وفقا للجدول الزمني وتطبيق مراحل اعادات الانتشار الثلاث في الضفة.
3. بالتوازي مع ذلك تبدأ مفاوضات الوضع النهائي بعد تطبيع اعادات الانتشار.
4. السلطة الوطنية بعد ذلك لا ترى ما يمنع التنسيق الامني الفلسطيني الاسرائيلي). (3)

وقد اصبح واضحا انه نتيجة زيارة اولبرايت للمنطقة قد اوصلت رسالة عربية تقول انه لا تقدم في تطبيع العلاقات.. مع اسرائيل في ظل السياسة القائمة ولا مشاركة في مؤتمر الدوحة الاقتصادي دون ان تكون عملية السلام منسجمة مع بنود الرد الفلسطيني على المبادرة الامريكية.

سياسة الليكود تجاه الاردن

كان موقف نتنياهو المعارض بشدة ضد اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ينطلق من شعوره بخطورة الزخم الكامن في هكذا دولة وهكذا شعب. كان يرى ان هذه الدولة تمثل خطراً على الاردن اولاً.. وانها بعد ذلك ستحول ضد اسرائيل بما لها من عمق ديمغرافي، ولهذا حاول اقحام الاردن مبكراً لمواجهة قيام الدولة الفلسطينية. وقد اشار الباحث الامريكي روبرت بوكبلارد في محاضرته في معهد التراث الامريكي تحت عنوان "سياسة الليكود تجاه الاردن" الى محاولات نتنياهو اقحام الاردن لالغاء انبعاث الكيان الوطني الفلسطيني حيث قال: ان نتنياهو (يعتقد انه بالتنسيق مع الاردن يمكن ان يصل الى نوع من التفاهم يترك لاسرائيل السيادة على معظم الضفة الغربية وغزة، مع منح الفلسطينيين نوعاً من السلطة الذاتية المدنية تحت نوع من الرعاية الاردنية). (4)

ويقول المحلل الامريكي ان نتنياهو يشدد على انه ((من الممكن الحصول على دعم اردني لحل القضية الفلسطينية بطريقة مرضية لافكار الليكود بعد الوقائع التي فرضتها اوسلو، وان القضية الفلسطينية يجب حلها في اطار الدولتين الاردن واسرائيل. ونحن نعتبر استقلال الاردن وحكومته جانباً مهماً من جوانب السياسة الخارجية لليكود. بل سياسة اسرائيل الخارجية)). (5)

ويكتشف المحلل الامريكي ((ان نتنياهو بعد اشهر فقط من توقيع اوسلو الاولى بدأ يقوم بمفاتحات سرية تجاه الاردن للحصول على موقف مؤيد منه لموقفه. وقد بعث رسالة سرية الى الملك حسين عبر الملك الاسباني خوان كارلوس لخص فيها ما وصفه بالمصالح المشتركة بين اسرائيل والاردن للوقوف ضد اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية ستتآمر ضد اسرائيل والهاشميين معاً، وسوف تعمل في نهاية المطاف على السعي الى ضم الاردن الى فلسطين، وبعد ذلك ستنقلب للانتقام من اسرائيل وعليه يتوجب

على الاردن ان يقف الى جانب اسرائيل في التصدي لهذه المشاعر الفلسطينية الوطنية والتوصل الى ترتيب استراتيجي مع اسرائيل بشأن يهودا والسامرة ويوفر رابطاً بين سكان هاتين المنطقتين والاردن)). (6)

ولم يجد نتنياهو تجاوباً في الاردن مع سياسته مما دفعه الى ارتكاب حماقة محاولة اغتيال الاخ خالد مشعل، على الرغم من وجود معاهدة بين البلدين، وقد اعتبرت هذه العملية، كما يقول المحلل الامريكي، بأنها تعبير عن ((انه ليس بالامكان الثقة في الاتفاقات الموقعة مع نتنياهو بشأن بنود معاهدة السلام الاردنية التي تمنع العمليات الامنية في البلدين من قبل اجهزتهما الامنية، ولا بشأن مواثيق او اتفاقيات اخرى سرية كانت ام علنية)). (7)

بدأ نتنياهو يتصرف بما يبدو وكأنه تحد للسياسية الامريكية التي يديرها الرئيس كلينتون وكان يعتقد انه قادر على هزيمة كلينتون في ملعبه.

يبدو ان هذا الاعتقاد انطلق من الشعور بأن كلينتون، بعد تلك الهجمات مع الفضائح التي دبرها له اللوبي الصهيوني في امريكا، اضافة الى وقوف الكونغرس للادارة بالمرصاد، فيما يتعلق بعملية السلام في الشرق الاوسط، جعلته يفضل السلام مع الجالية اليهودية الامريكية على السلام في الشرق الاوسط.

وعلى الرغم من ان الافكار الامريكية المطروحة كبادرة، و هي افكار اسرائيلية، صهيونية من الفها الى يائها. وهي افكار لا تنسجم مع اتفاقيات اوسلو بل تسعى الى تعطيلها وتجميدها بالممارسة العملية. الا ان نتنياهو يريد المواجهة الحادة التي تتيح له الامتناع عن تنفيذ الاتفاق.

لقد اخذ نتنياهو الضوء الاخضر من الادارة الامريكية منذ توقيع بروتوكول الخليل، على اطلاق يده بالعمل على الساحة الفلسطينية والعربية من اجل تخفيض التوقعات التي بشر بها اتفاق اوسلو، وفي مقدمتها الانسحاب من كل الاراضي المحتلة عام 1967م. والتفاوض في المرحلة الانتقالية على الاراضي التي تقوم عليها المستوطنات والقدس، والمواقع العسكرية والحدود. وهي مساحة لا تزيد عن 10% من مساحة الضفة الغربية. الى جانب شطب كلمة الدولة الفلسطينية من قاموس توقعات اوسلو والاذعان لسقف الحكم الذاتي في اطار ارض اسرائيل الكبرى، وقد انطلق نتنياهو من ان الفلسطينيين والعرب ليس لديهم أي خيار سوى الانصياع والاذعان لرغباته.

رغم كل الاجحاف والظلم الذي اشتملته الافكار الامريكية، فان سد الذرائع امام المخاطر المترتبة عن مواجهة فلسطينية امريكية هو خطوة تتفق مع القاعدة الشرعية، "درء المفاسد اولى من جلب المنافع". وكنا ندرك انه مهما تأزمت العلاقات بين نتنياهو وكلينتون فان مصلحة امريكا دائماً هي ان تكون مع اسرائيل وليس معنا. ولكننا ندرك ايضاً ان موقفنا الداعي الى احترام قرارات الشرعية الدولية والاتفاقات الموقعة برعاية امريكا من شأنه ان يضعنا دائماً في الموقع الصحيح. فالذي سنكسبه على الارض هو من نتاج ممارستنا. ويرتبط بشكل مباشر بحسن ادائنا على الارض. وهو الامر الذي بتراكمه سيقود الى وضع نصبح به اقدر على فرض ارادتنا عبر تغييرنا لموازين القوى على الارض.

لقد بدأت المعركة الحريرية بين نتنياهو وكلينتون الذي يعلن باستمرار انه لن يمارس أي ضغط على أي من الاطراف. وعلى الرغم من الضغوط المختلفة التي تمارس علينا الى حد التهديد والوعيد فان تصريح كلينتون واولبرايت يعني عدم الضغط على نتنياهو.

والحديث عن الضغط يعيد الى الاذهان ممارسات الضغوط السابقة، التي مورست على اسرائيل من قبل الرؤساء الامريكيين السابقين ابتداءاً من ايزانهاور وصولاً الى جورج بوش الاب. والجميع يدرك ان ضغوط هذه المرحلة، ان مورست، فستكون من نوع آخر، ليس كالذي مارسه ايزنهاور على بن غوريون للانسحاب من كل الاراضي التي احتلتها اسرائيل بعد عملية سيناء 1956خلال العدوان الثلاثي على

مصر.. فقد مارست الولايات المتحدة ضغطاً سياسياً قوياً وفرضت على اسرائيل سحب قواتها من قطاع غزة ومن شبه جزيرة سيناء.

كما مارست امريكا ضغوطها على اسرائيل بواسطة مجلس الامن لوقف العمليات الحربية عام 67، وعام 73، كما جمدت امريكا معاهدة التعاون الاستراتيجي بسبب ضم الجولان. واجبر بوش شامير على عدم الرد على أي عمليات عسكرية عراقية ضد اسرائيل خلال العدوان الامريكي على العراق. وجمد ضمانات القروض لمنع الاستيطان في الاراضي المحتلة.. ومن الواضح ان الضغوطات في مرحلة الحرب تختلف عن الضغوطات في مراحل السلام. فاسرائيل وسياسة نتنياهو ترمي الى تحقيق اصطفاف امريكي في مواجهة كلينتون الذي يسعى الى سلام استقرار وليس الى سلام القوة. ولهذا نجد ان لغة نتنياهو المتغطرسة تنطلق من عقدة الخوف وليس من عقدة الثقة بالنفس. فهو يعرض نفسه امام المجتمع الامريكي بما يوحي بأن قوته تكمن في ضعفه، فهو كرئيس وزراء يحكم من خلال تحالف يميني سينهار اذا هو وافق على المبادرة الامريكية. كما يوحي ان مساحة من عدة كيلومترات هي كعب اخيل بالنسبة لاسرائيل.

لقد اصبحت لعبة نتنياهو مكشوفة. ليس فقط لدى الطرف الفلسطيني الذي يعلن عنها كل لحظة، ولكنها اصبحت مكشوفة لامريكا.. ولاوروبا. والاهم من ذلك.. للمجتمع الاسرائيلي. فالاصوات التي تنطلق يومياً من الصحفيين وقادة الرأي الاسرائيليين تؤكد ان موضوع الخلاف ليس على نسبة الانسحابات، وليس على موضوع الامن، وانما على الحل النهائي الذي يريده نتنياهو بما لا ينطبق مع ما تعهدت به الحكومة السابقة في اتفاقية اوسلو، وخاصة ما يتعلق بقضايا الحل النهائي.

ان ما يقوم به نتنياهو الآن هو الممارسة العملية لمفاوضات الحل النهائي.وهو يعمل على حسم قضايا الحل النهائي لصالحه. وتبرز القضية الامنية ليس من واقعها الراهن، وانما من الواقع المستقبلي، وخاصة في المستوطنات والقدس التي تضم عشرات الالاف من الاسرائيليين، والبدائل التي امام نتنياهو في الحل النهائي هي اما اخلاء او نقل المستوطنات التي تقع في المناطق التي ستنقل الى مسؤولية السلطة الوطنية الفلسطينية، او ابقاء المستوطنات كجزر منعزلة داخل المناطق الفلسطينية. وهو ما سيؤدي الى احتكاكات امنية مستمرة. اونقل المسؤولية الامنية عن المستوطنات لايدي السلطة الوطنية الفلسطينية.. وهو امر، حتى لو وافقت عليه السلطة، يفرض ان يكون الخيار الوحيد الذي يطرحه نتنياهو، وهو الامتناع عن تطبيق الانسحابات.

ان محاولة زج الامن في كل صغير وكبيرة هو سياسة اسرائيلية دائمة، ولقد ورثها نتنياهو من سلفيه بيريز ورابين اللذين امتنعا عن تنفيذ الاتفاق بشكل يتفق مع الجدول الزمني، الذي هو جزء اساسي لتأكيد جوهره.. وكانت شعارات رابين حول المواعيد غير المقدسة، والامن المقدس هي ابرز ما ورثه نتنياهو ليعزز ممارساته المنسجمة مع افكاره الصهيونية الانعزالية.

لقد قامت قيامة "الايباك" .. والكونغرس عندما عبرت السيدة هيلاري كلينتون عن تأييدها للدولة الفلسطينية علناً، وذلك في ردها على سؤال وجه اليها خلال ظهورها امام الشباب، اذ قالت "ان الشعب الفلسطيني يستحق دولة خاصة به".

وعلى الرغم من نفي البيت الابيض ان يكون هذا التصريح تعبيراً عن سياسة الادارة وانه رأي شخصي، الا ان الكثيرون استرجعوا ما تسرب عن لقاءات الرئيس كلينتون مع الرئيس عرفات، حيث قال "ان الشعوب تستحق دولة خاصة بها". وقال انه يؤكد قيام الدولة الفلسطينية في نهاية المطاف.

لقد اعتبر تصريح السيد كلينتون بداية للضغوط الامريكية ليس بسبب المضمون وانما بسبب التوقيت الذي توافق مع موقف نتنياهو.

كما ان لقاء الرئيس كلينتون بالخريجين العرب من الجامعات الامريكية تم اعتباره ايضاً شكلاً من اشكال الضغوط التي يمارسها الرئيس كلينتون على نتنياهو.. فالمراقبون يرون ان ظهور الرئيس كلينتون في مؤتمر ينظمه خريجو الجامعات الامريكية العرب، التي تعتبر منظمة راديكالية في مواقفها تجاه اسرائيل والصراع الاسرائيلي، يعتبر موقفاً سياسياً بارزاً. وهو يدل بالنسبة للكثيرين على امساك الرئيس كلينتون بورقة المصلحة القومية الامريكية على مستوى العالم، بعيداً عن الاذعان لنتنياهو الذي بدأ يشن حملة على الادارة الامريكية.

لقد جاء اعلان قبول نتنياهو بالمبادرة الامريكية بعد ان قام بتحصين ذاتي خلف الاستحقاقات التي يريد الحفاظ عليها، وفي مقدمة ذلك المماطلة في النبضة الثالثة لاعادة الانتشار، وغياب ذكر الاستيطان والممارسات احادية الجانب. اضافة الى التمسك الشرس بالتبادلية الزائفة التي يطمح من خلالها ان ينقل الحرب الشعواء الى الساحة الفلسطينية عبر متطلبات الاجراءات الامنية، كما يراها نتنياهو.

لقد استطاع نتنياهو ان يهمش المبادرة الامريكية وان يفرغها من محتواها بعد ان ارتكب في ظل رفضها اشنع المخالفات للاتفاقيات، وخاصة ما يتعلق بالقدس. ومشروع تعزيز تهويد وتوسيع السيطرة الادارية عليها، مخالفاً بذلك نصاً واضحاً من نصوص الاتفاق حول قضايا الحل النهائي، المتعلق بقضايا اساسية هي القدس والمستوطنات والحدود واللاجئين والعلاقات مع الجوار، وهو موقف يشكل خطورة تفوق تحرك نتنياهو بالصعود الى جبل ابو غنيم، الذي كان اول رد فعل لافشال التعهدات التي وقع عليها في بروتكول الخليل.

ان موافقة نتنياهو على المبادرة الامريكية تجعله في موقف قوة من نوع جديد. سيبدو في نظر العالم كما بدا اثناء الاتفاق على بروتوكول الخليل، ملتزماً بعملية السلام وان مشاكساته وتصلبه لم يكن الا من اجل ضمان الامن لدولة اسرائيل. والامر الذي سيفرض على القيادة الفلسطينية ضغوطاً تحول دون اثارة قضايا من شأنها ان تعكر صنع السلام.

لقد اصبحت المبادرة الامريكية فخاً تتحفز كل اشواكه واشراكه للاجهاز على قضايا الحل، واصبح بامكان نتنياهو الحديث عن قضايا المرحلة الانتقالية باعتبارها قضايا الحل النهائي. وهو يجد نفسه مدعوماً بالموقف الامريكي المؤيد لسياسته. ويضعف الموقف العربي المنصاع لتعليمات واشنطن التي تهدد اتباعها من النتائج الوخيمة التي ستسفر عن أي مؤتمر قمة عربي شامل يعيد رأب الصدع ويحرر العراق من قيود الحصار العربي الاكثر ظلماً من كل الحصارات الغربية.

لقد استطاع نتنياهو ان يمزق ليس اتفاق اوسلو الذي وقعته حكومة العمل فحسب، وانما تجاوز ذلك بتمزيقه بروتوكول الخليل وما فيه من التزامات باعادة الانتشار على ثلاث مراحل تجاوزها الزمن، واصبحت كل مواعيدها في خبر كان. علماً ان اتفاق الخليل هو التزام لحكومة نتنياهو وللكنيست الاسرائيلي الذي صوت عليه باغلبية 87 صوتاً وهو ما يفوق التصويت الذي حصلت عليه اتفاقية كامب ديفيد.

هذا يعني ان نتنياهو القادر على الخروج من مأزق ما وقع عليه والتزم به شخصياً، لن يجد غضاضة في تمزيق أي مبادرة امريكية، او تنفيذها على طريقته ووفق رؤياه المستقبلية التي تقف عند حدود انسحابات محدودة وتوسيع لمجال السيطرة الفلسطينية في ظل السيادة الاسرائيلية الشاملة على ارض اسرائيل الكبرى.

وهذا ما جعله يعلن موافقة على المبادرة الامريكية التي فقدت مفعولها بقتلها لكل المواعيد والالتزامات، والتي لم يبق منها سوى الالتزامات التي سيحاول نتنياهو ان يفرضها على الجانب

الفلسطيني ويحمله مسؤولية أي تعويق او مماطلة لمسيرة السلام.

استطاع الرئيس كلينتون، رغم جراحه البالغة من مؤامرات انتقاص قدراته وعدم أهليته للقيادة، ان يجمع على ضفتي نهر واي وفد منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة الاخ ابو عمار ووفد الحكومة الاسرائيلية برئاسة بيبي نتنياهو. كان النهر الفاصل بين الوفدين يمنع التواصل، وكانت قضايا المرحلة النهائية الغارقة في احضان النهر تحمل على اكتافها قضايا اقل ثقلاً واسهل حملاً، وهي استحقاقات المرحلة الانتقالية. لم يكن السير فوق الماء ممكناً ليحقق لقاء الوفدين في عرض النهر. كانت المبادرة الامريكية تشكل نسيجاً من تشابك لحمة الارض وتحريرها، التي تشكل المطلب الاساسي للوفد الفلسطيني، مع سداة الامن الذي شكل الهاجس الدائم للوفد الاسرائيلي. وتبخر السلام الذي يشكل الهدف الاسمى للمسيرة بأسرها تحت اصرار الخوف والطمع وانعدام الثقة. وتقلصت الارض إلى جزر معزولة مطوقة ومسيجة بالطرق الالتهامية.. والمستوطنات.. والمواقع العسكرية الاسرائيلية.

كانت اول القضايا بالنسبة للاخ ابو عمار والوفد الفلسطيني هي الاصرار على عدم الخروج باتفاقية جديدة بعيدة عن مرجعية اعلان المبادىء في (اوسلو1)، وما تفرع عنها من اتفاقيات. كان يدرك ان هدف نتنياهو هو طي صفحة اوسلو ودفنها، والبداية بملف جديد. وكانت في مخيلة القائد الفلسطيني صورة لخمس سنوات خلت يوم وقع الرئيس كلينتون والراحل المغدور اسحق رابين اتفاقية اعلان المبادىء في البيت الابيض، تلك الصورة كانت راسخة في عقل كلينتون الذي اراد تكرارها مع وريث رابين، الذي حاول التخلص من كل التزامات اوسلو فجوبه بصمود فلسطيني يرفض فتح الاتفاقيات ويرفض اعادة التفاوض حول ما تم الاتفاق عليه.

ومن هذا المنطلق دارت المفاوضات حول اعداد مذكرة، وليس اتفاقا بحيث تحدد الخطوات اللازمة لتسهيل تطبيق اتفاقية المرحلة الانتقالية في الضفة الغربية وقطاع غزة الموقعة في 28 ايلول 1995 وغيرها من الاتفاقيات بما فيها نقاط للسجل، الملحقة ببروتوكول الخليل.

كانت مذكرة واشنطن (المبادرة الامريكية) التي سلمت شفويا للجانب الفلسطيني من خلال دينس روس تنطلق من قضايا الامن.. والتعاون الامني، ومحاربة الارهاب وتجميع الاسلحة ومنع التحريض، لتنتهي بموضوع اعادات الانتشار الاخرى. والاجراءات احادية الجانب وقضايا الحل النهائي. ومع اهتزازات الجسر المعلق على نهر واي. تشقلبت الامور واختلطت، فجاءت اعادات الانتشار في اولويات جدول الاعمال وفي الصفحة الاولى من مذكرة واي. بقي السقف الذي حددته المبادرة ب 13 % كما هو بعد ان تم اقتطاع 3 % قسرا لتتحول الى محمية طبيعية. واضيفت نسبة 2،41 % التي ستتحول من منطقة (ب) الى منطقة (أ)..

اما المرحلة الثالثة والتي من المفروض حسب اتفاقية المرحلة الانتقالية ان تشتمل على جميع الاراضي المصنفة (ج) ما عدا تلك التي تخضع لمفاوضات الحل النهائي، وتشمل مساحة القدس والمستوطنات والحدود. وهو ما لا يزيد عن 10 % من مساحة الضفة الغربية.

كان اصرار نتنياهو على دفن المرحلة الثالثة في قضايا الحل النهائي يشكل عقبة امام دور الئيس كلنتون .حاول ان يوظف الكفاءة الثعلبية لدينيس روس الذي اشار للموضوع في كتابه السلام المفقود على الشكل التالي:

(سأل الرئيس: «ماذا عسانا نستطيع أن نقدم له»؟ لمحتُ إلى خطوة رمزية واحدة يُمكننا أن نعده بها، قلتُ: «يُمكنكم سيدي الرئيس، أن تخبروه بأنكم تعلمون كم هو صعب عليه التنازل عن المرحلة الثالثة من إعادة الانتشار. لكنكم موقنون بأن مثل هذه الخطوة الآن نحو الوضع الدائم هي أفضل سبيل إلى تحقيق الأماني الفلسطينية; وأنه إذا ما وافق على صرف النظر عن المرحلة الثالثة، سوف تتعهّدون له بتأييد فكرة

الدولة الفلسطينية في مفاوضات الوضع الدائم». وأردفتُ: إنها قفزة بالنسبة إلينا، حيث إننا لم نتخذ موقفاً من فكرة الدولة أثناء عملية أوسلو، رغم أننا كنا نعارضها في السابق. وفي الحال أُعجب الرئيس كلينتون بالفكرة، وقال: «أجل، لعلّ هذه تنجح تماماً». وما إن طرحتها، حتى ساورني شيء من عدم الارتياح. قلتُ، عليكم سيدي الرئيس أن تخفّفوا الأمر بعض الشيء. إنكم لن تلتزموا هنا بدولة ذات سُلطات أو حدود معيّنة، وعرضكم سيكون مشروطاً بإلغاء المرحلة الثالثة من إعادة الانتشار الإضافية. قال الرئيس: (مفهوم).....وفي الاجتماع المسائي في الجناح الشرقي، قرّر الرئيس أن يلعب ورقة الدولة. فإذا قَبل عرفات التوجه إلى مفاوضات الوضع الدائم، سوف يدعم الرئيس فكرة إقامة دولة فلسطينية مستقلة في المفاوضات. وهذه، كما لمح الرئيس، خطوة تاريخية لم يُقدم عليها أي رئيس أميركي سابق. لكنه مستعد أن يخطوها في حال تخلّى الرئيس عرفات عن المرحلة الثالثة من إعادة الانتشار الإضافية والتحرّك بسرعة نحو محادثات الوضع الدائم.بقي عرفات هادئاً وغير مكترث. كان أبو مازن حاضراً، ولما لمح إلى أن الفلسطينيين ربما يقبلون بما يعرضه الرئيس عليهم، وأن المفاوضات يجب أن تبدأ فوراً، صاح فيه عرفات: «حسناً، سأستقيل وتعود أنت إلى غزة وتدير كل شيء». هنا أطبق أبو مازن ساكتاً. إن عرفات لن يتنازل أبداً عن المرحلة الثالثة من إعادة الانتشار الإضافية، لا بل إنه شرع يُذكّر الرئيس بأن كل ما يطلبه هو ما تنصّ عليه الاتفاقيات.لم ينته الرئيس إلى أية نتيجة، حتى بعدما لعب ورقة الدولة. وخلافاً لاجتهادي الشخصي، بقيتُ خارج الاجتماع على أمل أن يُدرك عرفات أن الوقت وقت تقرير لا وقت تفاوض. فجعلتُ ألوم نفسي على طرحي فكرة الدولة على الرئيس. لقد لعب الرئيس ورقة الدولة، فرآها عرفات الآن شيئاً يُمكنه الحصول عليه لاحقاً، وليس له أن يدفع لقاءها أي عربون مُقدماً.)(8)

بعثت زيارة الرئيس كلينتون إلى فلسطين وخطابه أمام التجمع الشعبي الفلسطيني في غزة انتعاشاً وآمالاً لدى الكثيرين حول الموقف الأمريكي، الذي بدا وكأنه يؤيد حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، وبما يؤيد إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة. وحيث أن هذه الزيارة قد تمت بعد فرض كلينتون وإدارته على نتنياهو التوقيع على مذكرة نهر الواي، التي رغم إجحافها الشنيع بالحقوق والاستحقاقات الفلسطينية التي تضمنها اتفاق إعلان المبادئ المجحف أصلاً، فقد قبلها الوفد الفلسطيني انطلاقاً من ضمانة الرئيس كلينتون لتنفيذها من جهة، واستناداً إلى قاعدة درء المفاسد التي كانت متوقعة في حالة رفض المبادرة الأمريكية. لقد كان تشجيع الرئيس كلينتون لممارسة المزيد من الضغط لتنفيذ ما تضمنته المذكرة، وخاصة ما يتعلق بالانسحابات الإسرائيلية التي تضاعف مساحة الأراضي المحررة خمسة أضعاف، مما يجعل إعلان تجسيد الدولة في الرابع من أيار 1999 أكثر ملاءمة حتى ولو راوغ نتنياهو في مفاوضات الحل النهائي وخالف المذكرة التي طالبت بتسريعها لتنتهي قبل الرابع من أيار 1999.

لقد أدرك نتنياهو أن تطبيق الاتفاق سيقود حتماً إلى إعلان تجسيد الدولة، فقام معتمداً على اليمين الليكودي بالدعوة إلى انتخابات مبكرة حتى يهرب من التنفيذ، وحتى يجعل إعلان تجسيد الدولة على مساحة لا تتجاوز 4 % من مساحة الضفة الغربية، حيث السيطرة الكاملة للسلطة الوطنية، أمراً صعباً.

ولم يستطع الرئيس كلينتون أن يمارس أي نوع من الضغوط على نتنياهو ليحول دون تجميد تنفيذ مذكرة نهر الواي، باعتبار أن الذهاب إلى الانتخابات لا يحول دون الالتزام بالاتفاقيات وتنفيذها من خلال الحكومة الإسرائيلية. فهذه الحكومة تلتزم بتنفيذ اتفاقياتها مع الآخرين حتى وهي ذاهبة إلى انتخابات. ولكي يهرب نتنياهو من الالتزام وضع شروطاً غير موجودة في الاتفاقيات، بما فيها ما نتج عن مباحثات نهر الواي. فقد بدأ يطالب بعدم إعلان تجسيد الدولة في الرابع من أيار ويربط ذلك بالتوصل إلى اتفاق بين الطرفين. إضافة للاشتراط إلى حد الوقاحة بعدم مطالبة القيادة الفلسطينية إسرائيل بالإفراج عن الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين.

لقد ربط نتنياهو بشكل مباشر وضع الانتخابات الإسرائيلية القادمة بعملية السلام بشكل عام، وبإعلان تجسيد الدولة بشكل خاص. ولهذا جاء تحديده لموعد الانتخابات في 17 أيار بعد الموعد المحدد ضمن الاتفاقيات بانتهاء المرحلة الانتقالية والاتفاق برمته في الرابع من أيار. ويعتقد نتنياهو أنه يضع القيادة الفلسطينية في مأزق إعلان تجسيد الدولة على أبواب صناديق الاقتراع. جازماً أن القيادة الفلسطينية لن تجرؤ على اتخاذ القرار الذي يعتبره قراراً أحادي الجانب من شأنه أن يفرض ردود الفعل التي أبسطها ضم الأراضي المحتلة في مناطق (ج) الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية الكاملة. ناهيك عن تهديدات مبطنة بالإغلاق والحصار.. وإعادة احتلال المناطق المحررة.

الاتفاقيات تحت الرعاية الامريكية

تقوم العلاقات الامريكية الاسرائيلية على اساس من المصالح المتبادلة والالتزامات ذات القيم المشتركة اخلاقياً واستراتيجياً. ومن الطبيعي ان تكون سياسة امريكا تجاه الصراع العربي الاسرائيلي وخاصة الصراع الفلسطيني الاسرائيلي ملتزمة بشكل يسمح لصهاينة امريكا السيطرة على سياسة الشرق الاوسط.

لقد كانت امريكا في عصر الحرب الباردة تحاول الموازنة احياناً بين مصالحها تجاه العرب المؤيدين لسياستها او المعادين للاتحاد السوفيتي من جهة، ومصالحها تجاه حماية ودعم اسرائيل من جهة اخرى. ومع انهيار الاتحاد السوفيتي ودخول المنطقة عصر ما يسمونه بالسلام، بعد العدوان الثلاثيني الغاشم على العراق، واقحام العرب قسراً في احتفال مدريد ليشهدوا التفكك والتجزئة عبر المسار الثنائي، الذي صمم ليعطي اسرائيل القدرة على الاستفراد بالانظمة العربية كل على حده. بحيث يصبح الامن الاقليمي لكل قطر عربي هو المسألة وعلى حساب الامن القومي العربي. اضافة الى المسار المتعدد الذي يحشد العرب كالقطيع في مزاد التطبيع.

كانت اول المواقف الامريكية هي شطب منظمة التحرير وتمثيلها المباشر في مؤتمر مدريد. وعلى الرغم ان الراعي السوفيتي في حينه كان يعترف بالمنظمة وبدولة فلسطين ويقيم العلاقات معها على مستوى سفارة، الا انه شارك في مؤتمر مدريد في وضع كانت فيه فلسطين ممثلة من خلال وفد فلسطيني اردني مشترك.

وبعد ان استطاعت المنظمة اثبات موقعها بشكل حاسم من خلال مفاوضات الكوريدور.. ادرك الامريكان انه لا سلام بدون الفلسطينيين. وادرك الاسرائيليون انه لا سلام بدون منظمة التحرير الفلسطينية، فكانت الاتصالات الفلسطينية الاسرائيلية التي تمخضت عنها اتفاقية اوسلو (اعلان المبادئ).

كانت اتفاقية اوسلو اول صدمة وجهت لصهاينة البيت الابيض الذين كانوا يخططون لشطب المنظمة من خلال حصر الشعب الفلسطيني بالمقيمين داخل الاراضي المحتلة باستثناء القدس. وكانوا يحاولون ابراز قيادة بديلة من خلال الوفد المفاوض ومشروع التسليم المبكر للسلطات. ولقد طوت اتفاقية اوسلو طموحات مارتن انديك ودينس روس. واصبحت المنظمة هي الشريك الاساسي في عملية السلام وتحت رعاية الرئيس كلينتون مباشرة. ولكن الموقف الليكودي ظل مسيطراً على "صهاينة البيت الابيض"، رغم قدرة رابين على تقليص دوره، الا انه عاد الى السيطرة مع وصول نتنياهو الى الحكم.

كان الانسجام بين موقف الادارة الامريكية وموقف نتنياهو عالياً. وقد تمثل ذلك منذ بداية الاشباك الفلسطيني الاسرائيلي الساخن الذي فرض على الادارة الامريكية ان تتدخل لحماية نتنياهو من اندلاع

انتفاضة جبارة بعد اقدام نتنياهو على فتح النفق وتهديد اركان الاقصى.

كان الاستقرار الذي تطمح امريكا في الحفاظ عليه مهدداً مما جعل الرئيس كلينتون يدعو الاطراف الى قمة واشنطن رغم كونه يخوض الدورة الثانية للانتخابات. وقد رفض الرئيس مبارك حضور القمة اذا لم يعلن نتنياهو استعداده للالتزام بتنفيذ الاتفاقيات. وحضر القمة الاخ ابو عمار والملك حسين ونتنياهو.

كان الموقف الفلسطيني قد تسلح بالحالة الجماهيرية التي اعادت للانتفاضة بريقها الساطع.. وهو الامر الذي تخشاه الادارة الامريكية. ولذلك بذلت جهودها بأن يكون اللقاء في واشنطن يهدف الى الاستقرار. فكانت المسودة التي وضعها دينس روس تحاول القفز على الاتفاقيات والالتزام بها، وتتجاوز النقاط الست التي طرحها الوفد الفلسطيني كأساس للبيان المشترك الذي سيصدر عن القمة. والمقارنة بين الموقف الفلسطيني والموقف الاسرائيلي الذي عبر عنه دينس روس بالتواطؤ مع نتنياهو من خلال النصوص التي اشرنا اليها سابقا تجعل من المنطقي ان يرحب الصهيوني دينس روس بالانجازالذي تتحول عبره مشاعره الشخصية الى قرارات في الادارة الامريكية تعتبر اسرائيل غير ملزمة بتنفيذ الاتفاقيات وانها هي وحدها صاحبة الحق في تحديد المساحة التي تتم اعادة الانتشار فيها والانسحاب منها.

على الرغم من الرفض الفلسطيني الرسمي لهذا التفسير القسري الذي يتجاهل ما جاء في رسالة كريستوفر نفسها حيث نص (اخيراً اود ان اكرر موقفنا بأن لاسرائيل الحق في ان تكون حدودها آمنة وقابلة للدفاع عنها وهذا ما يجب التفاوض من اجله والاتفاق عليه مع جيرانها بصورة مباشرة) (9).

ان الموقف الامريكي المنحاز الى درجة العمى للموقف الصهيوني الاسرائيلي التوسعي، قد عبرت عنه الادارة الامريكية بالفيتو في مجلس الامن ضد موضوع يعلن الرئيس كلينتون نفسه ان اسرائيل مدانة فيه، وهو موضوع الاستيطان في القدس وعلى جبل ابو غنيم. ان انصياع الادارة الامريكية ومحاولتها حماية سياسة نتنياهو ليست ناتجة عن ضغط خارجي وانما هي نتيجة للتفشي الصهيوني داخل الادارة. وعجز الرئيس كلينتون عن المواجهة لغياب أي تهديد لمصالح امريكا في المنطقة بسبب سياستها المنحازة. ان محاولة امريكا التركيز على ان الحل والسلام لا يكون عبر الامم المتحدة. ولا يكون عبر التدخل الدولي ولا من خلال راعيي عملية السلام، والشاهدين الموقعين على الاتفاقيات، وانما يكون عبر المفاوضات الثنائية بين الحكومة الاسرائيلية والسلطة الفلسطينية. انهم بذلك يشجعون سياسة الغاب، سياسة حق القوة والغطرسة في ان تفرض ارادتها على العدالة الانسانية وتقلب الباطل حقاً. لقد لاحظنا ونحن نحاول الالتجاء للتحكيم باعتباره جزء من الاتفاقيات ولكنه يحتاج إلى موافقة الطرفين، بأن الطرف الاسرائيلي يدرك قوة موقفه في النصوص التي تجعله يرفض التحكيم في الوقت الذي يدرك فيه ضعف موقفه في حالة حدوث التحكيم. وعندما لجأ الاخ ابو عمار للخروج من المأزق إلى دعوة جميع الاطراف الموقعة على اتفاقية السلام والراعية لها والضامنة لتنفيذها، كان التجاوب متفاوت الدرجات. ففي الوقت الذي كان فيه دينس روس وصهاينة البيت الابيض يرفضون مثل هذه الدعوة، كان الرئيس كلينتون يرى فيها انقاذاً للموقف الامريكي من الانحياز السافر الذي يهدد عملية السلام. وان الحضور الامريكي وتلبية دعوة الرئيس عرفات هو الرد المتوازن على الفيتو الامريكي في مجلس الامن والتصويت ضد قرار الجمعية العمومية. وهنا عمد دينس روس إلى محاولة تجويف الدعوة الفلسطينية من مضمونها. فبدل ان يكون مؤتمراً دولياً يشارك فيه وزراء خارجية الدول المعنية، قام باتصالاته مع كل الاطراف، ليكون التمثيل متدنياً، ويتحول إلى مجرد لقاء باهت.

وعلى الرغم من كل ذلك، فقد تمت الصفقة بهدوء.. بين دينس روس ونتنياهو، وبموجبها تمت صياغة المبادرة الامريكية الاخيرة بحيث تتضمن مجموعة من القضايا التي سترفضها القيادة الفلسطينية

بدون تردد. هكذا قدر دينس روس ونتنياهو معاً.

1. اول القضايا: هو النزول من نسبة 40 % التي تشير اليها الاتفاقيات بشكل غامض (ثلثي المساحة (ج) بدون مناطق الحل النهائي) الى نسبة ما اطلق عليه (Low teen) وكانت (The Lowest teen) أي 31 %.
2. ثاني القضايا: ان النسبة المطلوب اعادة الانتشار منها من مناطق (ج)التي تتحول الى (أ) قبل بدء اعادات الانتشار الثلاث. ولكن الصفقة حولت المناطق بمعظمها من (ب) التي تتحول الى (أ) مباشرة. حيث ان الاتفاق يحدد انتهاء مناطق (ب) وتحولها الى (أ) قبل بدء اعادات الانتشار الثلاث. ولكن الصفقة حولت المناطق بمعظمها من (ب) الى (أ) ومن (ج) الى (ب).
3. ثالث القضايا: ان لا تتم أي اشارة في المبادرة للنبضة الثالثة وهي قضية جوهرية جداً حيث عدم ذكرها، والتصريح بأنها موجودة حسب الاتفاق يجعل القيادة الفلسطينية لا تجادل في شيء غير منصوص عليه. وعند النقاش حول القضية قال الامريكان انه يمكن ان تكون هذه القضية مندمجة مع قضايا الحل النهائي.
4. رابع القضايا: غياب اي اشارة لقضية الا ستيطان تحت أي عنوان سواء الممارسات احادية الجانب او حتى اصطلاح الـ Time out.
5. خامس القضايا: هي التبادلية المطلوبة من الطرفين التي تؤكد شروطها التنفيذية ان لا نية للتنفيذ حتى لو وافق الطرفان. فالقضايا الامنية معقدة ونصوصها تثير الخلاف.

لقد ساهمت الادارة الامريكية في محاولات فرض التدجين والانصياع على القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطيني، ومارست ضغوطاً واطلقت تهديدات لدرجة جعلتنا نبرر قبول القيادة للمبادرة الامريكية السيئة المضمون والنوايا، حرصاً على درء الخطر الذي كان سينجم في حالة رفضها. لقد اتكأنا على قاعدة درء المفاسد اولى من جلب المنافع وكانت النتيجة ان المفاسد لم تدرأ. وان الضغط الامريكي استمر بأشكال مختلفة بما فيها التهديد بالانسحاب من عملية السلام وترك الضحية الفلسطينية بين يدي القاتل للسلام من اجل فرض قانون القوة والغطرسة.

لقد اصبح واضحاً لكل ذي عقل وبصيرة ان الامل في صحوة ضمير امريكا لن يرى النور. وان استجداء السلام الامريكي من ادارة يقودها الليكود الصهيوني هو انصياع واذعان ترفضهما القيادة الفلسطينية ويرفضهما الشعب الفلسطيني. وان اللوبي الصهيوني الذي لم يعد له وجود محدد في امريكا بعد ان اصبحت الادارة الامريكية ومؤسسة الرئاسة والكونغرس هي التي تقوم بدوره... واصبحت امريكا بقضها وقضيضها ذات موقف واحد موحد ضد مسيرة السلام العادل والشامل والدائم، ان الخطرالآن يكمن في بروز لوبيات امريكية ذات مصالح خاصة في قلب المجتمع الفلسطيني تعمل على تجاوز قرارات الصمود والتمسك بالثوابت التي يحافظ من خلالها الاخ ابو عمار على الحد الادنى الذي يصون كرامة وحقوق الشعب الفلسطيني. ويخرجه من حالة "السلام بلا سلام" التي يقودها اللوبي الصهيوني.

الهوامش

1. شبكة الانترنت. مكتب رئيس الوزراء www.pmo.il
2. نشرة فتح العدد السابع عشر ايلول النصف الاول 1997 .
3. المصدر السابق .
4. روبرت بوكبلارد (سياسة الليكود تجاه الاردن.. محاضرة في معهد التراث الامريكي).
5. المصدر السابق.
6. المصدر السابق.
7. المصدر السابق.
8. دينيس روس ,السلام المفقود .الحلقة العاشرة جريدة الشرق الاوسط 11 اكتوبر 2004
9. مجلة الدراسات الفلسطينية العدد (30) ربيع 1997 ص18112).